

منه وما يريغون ... وقد بقي منها بعد تلك الأعوام الطوال ستون وثلثمائة . وربص لدى الباب كلاب أربعة كسباع البرية ، تلحظ الحظيرة بأعين كالجر ؛ وجلس الراعي يعمل لنفسه نعالا من جلد ثور مدبوغ بينما انطلق خدمه ومعاونوه الأربعة يعملون ويدأبون هنا وهناك . وكان رابعهم على وشك أن يترك الحظائر إلى المدينة ، حاملا اللحم خنزير حنيذ يذهب به برغمه إلى العشاق الفساق . ولحمت الكلاب أوديسيوس فأهرعت إليه ، وضلت تعوى وتنبج ، وترغى وتربد ، وأوشكت أن تقتك به ، لولا أن هب يومايوس فكسر شرتها بما رماها به من الحجارة ، ولولا أن ترك أوديسيوس عكازه يسقط من يده لأن الكلاب لا يفيظها إلا أن يمسك لها أحد عكازاً .. قال الراعي : « أيها اللاجي ، المعجوز سلمت ! خطوة واحدة ، وكانت هذه الكلاب قد مزقتك إرباك ، وكانت لحقت بي سبة لا تبيد ! ألا كم ترسل على الآلهة من كروب ! وكم ترميني به من آلام ! أنا ، هذا المعجوز المالك ، الذي أمضى الحزن ، وشفني الأسى من أجل سيدي ومولاي ! هاأنذا أستمن قطعمانه وأرعاها لينعم بها غيره ، بينما هو نازح غريب محبوب الآفاق ويشتهي كسرة يتبلغ بها ، إن كان ما يزال حياً يرزق ! أوه ! تعال أيها الصديق ، هلم اتبعني إلى داري أطعمك ما تيسر ، وأسقك كفايتك من الحمر ، وتخبرني بعدها من أنت ، ومن أين أقبلت وماذا وراءك : » وانطلقا ، وقدم إليه الراعي الكريم حشيشته التي كان يجلس عليها ، والتي أخذها من جلد عنز حشاه بالقش ؛ فشكره أوديسيوس ودعا له بما يحب وبكل ما تصبو إليه نفسه . فقال الراعي



الأول ذئبية

لهيرودس

بقلم الأستاذ دريني خشبة

مع الراعي ...

وسلك سبيله في طريق وعر مخفوف بالأشجار الباسقة إلى مأوى صديقه الراعي الشيخ الأمين ، فوجده جالساً وحده في مدخل الحظيرة التاسعة القائمة وسط المرج العشوشب النضير . ولقد سورها يومايوس ، إذ سيده غائب في أقصى الأرض ، بسور عظيم ضخيم من حجارة قوية تحتها من محجر قريب وجعل على السور فروعاً من قتاد وشوك وجذوعاً من ستمديان ، حتى صارت أمتع من عقاب الجو ... كل ذلك دون أن يساعده أحد ... ثم قسمها إثني عشر ذرباً^(١) جعل في كل منها خمسين خنزيرة كنانزاً ... أما ذكران الخنازير فقد تركها سائبة في الخارج ليرسل منها إلى العشاق المعاميد ما يأكون

يحييه : « أيها الصديق ، ليس أمقت إلى من أن
أزود لاجئاً إلى داري وإن يكن أرث منك حالا ،
لأن أبناء السبيل جميعاً هم ضيوف زيوس رب الأرباب
وأنا مع ذلك أعتذر إليك إذا لحظت أن زادي قليل
وأن حالي رقيقة فلقد مضى زمن العز والعيش الواسع
المفروح وأصبحنا نعانى القُلَّ والفاقة والعيش النكد
تحت إمرة هؤلاء الرؤساء الأصغر . آه يا مولاي
يا زين الحياة ومؤدب الناس أين أنت ؟ أين أيامك
وخيرك الوفرة ؟ ليتها دامت ، وليتك ظلت فعشنا في
كنفك ... وليت هيلين وكل من في بيت هيلين
فداؤك ... هيلين التي قتلت سادات هيلاس ^(١)
الذين أبحروا مع أجامنون لينيلوه النصر في ميدان
طروادة ! » . ثم لَم دثاره وذهب إلى الزرب الأول
جاء بخزيرتين سميتين قتلتهما وذبحهما وسلخ
جلديهما ، وجعلهما إرباً إرباً ؛ ثم أشعل ناراً عظيمة
فسوّى على جمرها السفافيد المثقلة باللحم ، وجاء
بالشواء فوضعه أمام أوديسيوس ، ثم نثر عليه من
الدقيق ، وأحضر زق الحمر ، وجلس قبالة وقال :
« هلم يا ضيق العز فكل وارو ... لا تؤاخذني
إذا رأيت الشواء لا سمياً ولا حنيذاً ، فكل سمين
وحنيذ يذبح أولاً فأولاً ويرسل إلى العشاق السفلة
الذين لا يرعون في الآلهة إلا ولا ذمة ، ولا يخافون
سماً ولا بشراً ... يا لله من هؤلاء الفجرة ... ألا
يامون شعهم ويفرون بخيلهم ورجلهم على بلاد قاص
فيثوبوا بأسلاب الغزو وسخط الآلهة ؟ أم تراهم
أوحى إليهم بموت مولاي فهم ههنا قاعون ما يرمعون
ولزاده آكلون ومن خمره شاربون ، حتى فرغت

الجرار ، وخوت الدار ، وضؤل الزرع وجف
الضرع ! ! أبداً ما ملك أحد مثل ما ملك مولاي !
لقد كانت ثروته تعدل ما يملك عشرة أو عشرون
أميراً ؛ وما أزال أذكر مما ملكت يده اثني عشر
قطيعاً من الأنعام كانت ترعى المشب في مروج
الشاطي ^(٢) المقابل ، وكثيراً من قطعان الأغنام
وأرعال ^(٣) الخنازير وأسراب الماعز ، عليها أجراء
وخدم ورعاة لا يحصون ، ورجال مخلصون يزرعون
في حقوله التاسعة ويحصدون ، ورجال يجلبون من
قطعانه كل كناز للذبح ... أما أنا ... فقد عهد إلى
هذه الأرعال التي ترى ، أطعمها وأعني بها ، و ...
وا أسفاه ! وأرسل إلى العشاق كل يوم بخيارها »

وصمت الراعي بينما كان أوديسيوس يصنى ويلتهم
طعامه ويفكر ألف فكرة ، ويدبر ألف تدبير
لسحق هؤلاء العشاق الغاليك . حتى إذا انتهى ،
قدم إليه يومايوس كأسه دهاقا ، فتقبلها وشرب
ما فيها وقال : « ترى ما ذا كان اسم سيدك أيها
الصديق ؟ لا بد أنه كان مشهوراً ذا ذكر ، لما
وصفت من واسع ثرائه وسمو جاهه وبسطة ملكه .
لقد قلت إنه ذهب إلى طروادة مع أجامنون ، فهل
تفضل فتذكر لي اسمه عسى أن أقص عليك من
أنبائه ؟ لقد ذهبت أنا الآخر ثمة ، وسافرت في
بلادشتي ، ومحال ألا أعرف العظماء الذين جاهدوا
مع أجامنون . » فأجابه الراعي : « وا أسفاه أيها
الأخ المجوز ! أبداً لا تنظلي الأنباء الملفقة عن

(١) لغة شاطي آسبا

(٢) جمع رعييل ويجمع على رعال وأراعيل وهو في الأصل

للخيل والبفر

(٣) اليونان وتسمى أفايا أيضاً

مولاي على زوجه أو ولده ؛ فكم من جواب آفاق
 مثلك ، محتاج إلى لقمان أو سروال ، قد اتى الزوجة
 المسكينة فلفق لها قصصاً مكذوباً عن رجلها ثم دلت
 الأيام على كذبه وزخرفه ، والزوجة في كل ما تسمع
 تذرف الدموع وتصد الآهات كأحسن ما تصنع
 زوجة وفيه من أجل زوجها الذى قضى في بلد بعيد .
 وأكبر ظنى أنك تطمع فى كساء تحلمه عليك هذه
 الزوجة المفثودة الرءوم ، فأربع عليك ، فالرجل قد
 قضى ، وليس بعيداً أن تكون كلاب البرية وسباعها
 قد اغتذت به ، أو أنه قد غرق فأكله السمك ،
 ولغلت عظامه على سيف البحر لتذروها الرياح ،
 تاركاً وراءه قلوباً تأنى عليه ، أحزنها عليه قلبى .
 تالله ما وددت أن أرى أبوى اللذين غادرتهما منذ
 أحقاب كما أتشوف اليوم إلى رؤية هذا الرجل ...
 آه يا أوديسيوس ! أين أنت ... إنك مهما شطت
 النوى وشحطت الدار فلن أرح أذكرك وأسبح
 باسمك وأوفر ك ، بما أحسنت إلى وعنت بشأنى ،
 يا من فراقك عندى آلم لى من فراق أعز إخوتى
 وأشقائى !»

وحده أوديسيوس وقال : « أيها الصديق
 لم تياس من عودة مولاك هكذا ؟ ولم يخامرك
 الشك فى أن رجوعه محتوم لا ريب فيه ؟ إذن فأنا
 أقسم لك قسماً لا أحتث فيه أنه عائد لا محالة ،
 ومعاذ الآلهة أن أقسم وأؤكد الأيمان لأنال
 القميص الذى ذكرت أو الدثار الذى أنا فى شدة
 الحاجة إليه ، بل ليق القميص والدار حتى يتحقق
 قسمى وتبريمنى فأتسلمها منك ، فإنى أمقت
 الكاذب الخائن فى يمينه كما أمقت أبواب الجحيم ،

والله على ما أقول وكيل ... إطمئن إذن يا صاح ،
 وثق أن أوديسيوس لابد عائد هذه السنة إلى إيثاكا
 بل ربما عاد هذا الشهر ، ولن يمضى شهر آخر حتى
 يكون قد ثار لمرضه من أعدائه وبطش بهم جميعاً ...
 أولئك الفجرة الأشرار الذين جسروا على استباحة
 حماه ، وإهانة زوجه ، وعدم المبالاة بولده ! »
 وسخر الراعى وقال : « أهكذا تقسم وتؤكد القسم
 يا صاح ؟ أبداً لن تنال الرهان أبداً ، فقد أودى
 أوديسيوس ولن يعود بعد ... هلم هلم نحس
 كأسك الروية ودع هذا الحديث فإنه يحزننى ويشير
 شجونى ... خل قسمك ، وليقدم أوديسيوس فى
 خيالك أو فى الحقيقة ، فأنا وزوجه وأبوه وولده ...
 كلنا ننتهى ذلك ، ونتمناه على الآلهة ... يا ويح لك
 يا تليماك الحبيب ! لقد كنت أرقص طرباً كما رأيتك
 نبت كما نبت أبوك ، وتشب على الفضائل التى شب
 عليها : أين أنت ؟ لقد ذهبت إلى ملك بيلوس
 تتجسس أخبار أبيك ، وهامم العشاق يترصدونك
 ويتربصون بك ليفتالوك فى الطريق . ألا طاشت
 أحلامهم ، وحماك جوف الأعظم من مكرهم ،
 وحفظك لبيت أرسسياس يا أعز الناس ... ؛
 ولكن تعال أيها الضيف الكريم ... قل لى بربك
 وصدقنى فى كل ما تقول : من أنت ، ومن أين
 أقبلت ، وفيم قدمت ؟ وما بلدك ؟ وأين يقيم أبوك ؟
 وأي سفينة حملتك إلى شاطئنا ؟ فلمرى إنك لن
 تدعى أنك وصلت إلينا سائراً على قدميك ! ! »
 فقال أوديسيوس بحجبه : « سأقص عليك من
 أنباءى التى لا يأتيتها الباطل مالم ألبثت عندك عاماً بين
 هذه الخمر وذاك الطعام ، بينما يكبد الآخرون من

أجلنا ويجهدون ، مافرت من قصها عليك ...
 فهي أبناء باكية وآلام متصلة ، شاءت السماء أن
 أقسيها ، وأن أجزع غصصها ... إذن أنا ابن
 كاستور هيلاسيد أحد سراة كريت ، من سُريته
 المحبوبة التي كان يمزها كزوج . ولم يكن أبى يفرق
 بينى وبين إخوتى من زوجه ، بل كان يولينا حبه
 على السواء ، وكان الناس يجعلونه كأحد آلهتهم
 لثرائه الواسع ، وحسبه الضخم ، ولأعماله الناجحة ؛
 فلما مات اقسىم أبناؤه كل ماترك ، وكان نصيبى
 منزلاً متواضعاً ، ومالاً كثيراً ، وزوجة غنية ذات
 مال وجمال . ولم يحاول إخوتى أن يدعوني أو
 يأكلوا ترانى ، لما كنت عليه من كريم الخصال
 وحيد الفعال ، وجمال النظر ووسامة المظهر — لا
 كما ترانى الآن — وأأسفاً على ما فات من نضارة
 الشباب ! تالله لن تستطيع ، وإن يستطيع أحد ،
 أن يحبسكم شقيتكم بليت ، وكم من الآلام
 والضنك وأوصار الحياة تحمكت ؟ فلقد كنت
 لا أرهب الردى ، وكنت دائماً أخوض خبار
 الممارع فى حى مارس ومينرفا فأشك قلوب الأعداى
 وأبهر القادة والزعماء بجلائل الأعمال ... ولم يكن
 من دأبى أن أشغل نفسى بأكلاف البيوت ومشاكل
 الحياة المعاشية الدنيا ، التي هى بالاحداث والغلمان
 أولى ، بل كنت مشغولاً أبداً بركوب البحار
 وخوض غمار الوغى ، وملاعبة الأسنة ، وما إلى
 ذلك مما جعلته السماء غراماً وفرحاً لى ، وضراماً
 وفرعاً فى فؤاد سواى — والناس كما تعلم فيما
 يعشقون مذاهب ... ولست أرسل القول على

عواهنه ، فلقد قدت إلى طروادة تسعة جيوش
 ظفرت بفيالقها قبل هذه الحرب الضروس الأخيرة
 بينها وبين هيلاس ... ولقد حزت الثراء الجم
 والغنى الوافر من جراء هذه الحروب ، فأصبحت
 بين شعب كريت المفضل المبجل ... ثم كانت الحرب
 الأخيرة التي قتل بسببها مئات من السادة الصناديد
 من رجال الإغريق ، فاختارونى أنا وصاحبى إيدومين
 قائدن للأساطيل ... ثم حاربنا حول طروادة تسع
 سنين حافلات مُثقلات ، وفى العاشرة سقطت
 المدينة فى أيدينا ، وعدنا أدراجنا نطوي اليم لا ندرى
 ماذا خبأت لنا المقادير ؛ ومن ثمة بدأ جوف يرسل
 صيماً من الرزايا فوق رأسى ، حتى إذا وصلت إلى
 كريت سالماً لم ألبث طويلاً هناك ، ولم أمتع
 النفس بالأهل والوطن إلا شهراً واحداً ؛ ثم أقلت
 فى نخبه من رفاق بأسطولنا إلى مصر بعد أن
 أولت لهم وقربت القرابين . وقد أرسلت العناية لنا
 ربحاً جرت بسفنتنا رخاء ، كأنما أبحرنا مع تيار نهر
 لا جبار ولا عنيد ، ولم يحدث لى من جوارينا
 سوء حتى بلغنا شطآن مصر فى اليوم الخامس ،
 واتخذت سفنتنا سبيلها فى النيل عجياً ... ثم حدث
 ما لم أود أن يحدث ، إذ سطا رجالى بعد خُلف
 فى الرأى وشجار بينهم عنيف على حقول الفلاحين
 فاستاقوا أنعامهم وسبوا نساءهم ، واسترقوا أطفالهم
 ثم ذبحوا رجالهم ... بيد أنهم لم يسلّموا مع ذلك من
 شر المصريين ! إذ استيقظت المدينة على صراخ
 الجرحى وأنين القتلى وتصويت النساء فأقبل أهلها
 كالجراد ، بين فارس وراجل ، وكل يحمل السيف